20040414-0013-L

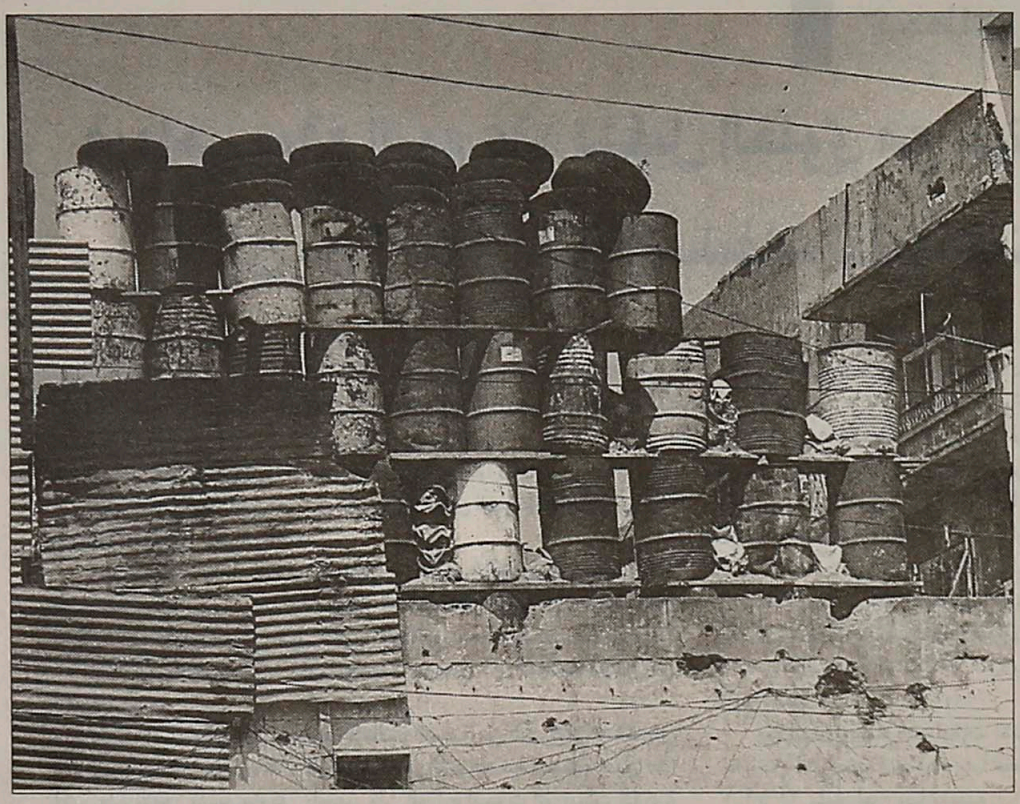

«جدار فاصل» بين عين الرمانة والشياح (١٩٩٠) (م.ع.م)

يوميات

بوست كارد إلى ١٣ نيسان

لا شيء غير اعتيادي في المخيم. لا الفصول تؤثر، لا شيء يتغير إلا صور الشهداء. فقط الصور تتغير على وقع الضجيج وملل البيوت. صور الشهداء في المخيم تعلن عن «الحدث». صورة فوق صورة.. الحكاية نفسها. نيسان؟ لا فرق نيسان من ايار. الحرب؟ هناك حرب دائما، ذكريات يومية تعيش عليها المعنويات.

ستمر ذكرى الحرب في ١٣ نيسان حين مات ركاب الباص في عين الرمانة التي أصبحت الآن من الأمكنة البعيدة.. أبعد من حيفا وكل فلسطين. على وقع الملل نفسه لا شيء يستحق الحديث عنه. الهدوء أصبح تطنيشا عن الأسباب، عن المرحلة التي ستبقى دائما اللاحقة.

من كان في الحرب رحل ليكملها في المكان المناسب لها، ومن بقي في المخيم يراقبهم والتطنيش عما حصل هنا.. من قتل ركاب الباص؟ لماذا قتل ركاب الباص؟ أحجية لا تحل هنا في المخيم. هنا نعلم حقيقة واحدة فقط.. أن أحدا ما يكرهنا هو الذي بالضرورة قتل ركاب الباص.

الوقت كفيل بأن يمضي ويسحب ذكريات الحرب بهدوء. يلغي اسماء مناطق واحياء.. ومعارك؟ أحمد يغني «ولما طلعنا ودعناك يا بيروت». انت يا صديقي لم تودع سوى صورة واحدة لبيروت.. المكان ليس لك.

عمي أبو عصام لا يريد ان يلغي التاريخ. صح. أوافقه الرأي. ما زال يتنزه في ما كان نقطة قتاله.. محور المدينة الرياضية. يتخيل المعركة المقبلة. أخبره أن لا دور له في «المرحلة اللاحقة». يهب مسرعا: «يلعن أبو اليسار. صحيح بلا أصل». عمي أبو عصام يعلم أنه اخطأ. لم يكن هناك ممر واحد للتراجع.

الشرقية مكان موجود لا يخيف. لم نعد اعداء هناك علنيا. محوت كل الاسئلة عن الأعداء. أصبح هناك آخرون. أصبحنا، نحن الفلسطينين، «سبب البلا». حين أسأل أبو عصام يعسكر الإجابة دائما. لكنه يعترف ان البلا كان موجودا قبلنا.. «بس إحنا غلطنا شوي». لا أدري. فأنا لم اكن هناك، لكني في الحالتين محسوبة على نتيجة واحدة.

ذكرى الحرب ستبقى لمن يتبقى. ربما هي ما زالت حربا. احمد وعلي والكثيرون من المخيم لديهم رهاب الحدود. لا يبتعدون اكثر من «حدود الغربية». لا شيء يدعوهم إلى الذهاب إلى هناك. هناك، بصراحة كما قال لي جورج، أحد الناصحين «غير مرغوب فيهم». كنت اريد فقط أن اضيف أنهم أيضا، في بعض من مناطق الغربية، غير مرغوب فيهم. لكن الوقت كفيل بأن يمضي.

في ١٣ من نيسان.. ذكرى الحرب، لا ادري ان كان علينا أن تحتفل بانها ذكرى وأنها انتهت، او ان تعترف هي انها لم تنته، وأن ذكرها مجرد «هبل».. على كل حال، وفي ذكرى الحرب، أهنئ كل من لم يشارك فيها. وقف بعيدا يتفرج. واهتم بشؤونه الخاصة. وليس لديه فوبيا الحدود.. والجماعات.. ولا يستخدم «هونيك» و«هون». ولا يتكلم بـ«نحن» و«أنتم». ولم يأبه للمحور. ولم يستدع أحدا للدفاع عنه. ولم يكن وطنيا، ولا قوميا ولا عالميا. ولم يصرف ادنى مجهود فكري في تحليل المؤامرات. ولا يعترف بالهزيمة والنصر.. وبقي طول فترة الحرب سيد نفسه. لم يكن مسؤولا ولا عنصرا، ولم يصدر احكاما خاصة.. وأقصى مجهود بذله كان النزول إلى الملجأ والصعود منه.

والآن يتذكر الحرب بهؤلاء الذين أخطأوا ولم يعرفوا يوما تصحيح هذا الخطأ والإعتراف به.

سارة ابو غزال

بريد «شباب» shabab@assafir.com